جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 40 / حزيران 2024

الاتجاهات الدينية الحديثة لفهم النص القرآني الاتجاه التفكيكي مثالا

Modern religious trends in understanding the Qur'anic text The deconstructive trend is a model

أ.م.د هدى تكليف مجيد السلامي
Asst. prof. Dr Huda Takleef Majeed al- Salami

كلية الشيخ الطوسي الجامعة
Alsheikh Altoosi University college

الكلمات المفتاحية: الاتجاهات الدينية، النص القرآني، المنهج التفكيكي.
Keywords: religious trends , Qur'anic text, deconstructive approach.

الملخص

هنالك اتجاهات مختلفة في فهم النص القرآني المقدس، مما يلاحظ وجود تيارات جديدة في الفترة الراهنة تغزو العالم بشكل عام، والعالم الإسلامي خصوصاً، كان من أهمها التعددية الدينية، بالإضافة الى بعض الآراء التي تتدخل في الاحكام والشرائع لتغيرها التي أساس رجوع جوهرها إلى بعض النظريات الخاصة بفهم النص أمثال الهرمنيوطيقا الفلسفية القائلة بنسبية المعرفة وتعدد القراءات التي لها دور بارز في الوقت الحاضر عند بعض المفكرين المعاصرين المسلمين كنصر حامد أبو زيد وعبد الكريم سروش ومحمد مجتهد شبستري والقائلين بحتمية اختلاف القراءات للنصوص القرآنية من شخص إلى آخر و من عصر إلى عصر آخر.

Abstract:

There are different trends in understanding the sacred religious texts. Some reject the approach completely and in detail, while others support it strongly. Perhaps the most important new trends that are invading the world in general, and the Islamic world in particular at the current stage, are religious pluralism, and some Opinions regarding the change in Sharia law and rulings, which are essentially due to some theories in understanding the text, such as philosophical hermeneutics, which believes in the multiplicity of readings and the relativity of knowledge. Philosophical hermeneutics, which has a prominent importance in the contemporary reality among some contemporary Muslim thinkers such as Nasr Hamid Abu Zaid, as well as in criticism of religious discourse, the theory of contraction and expansion by Abdul Karim Soroush, and the logical opinions of Muhammad Mujtahid Shabestari and those who say that different readings of texts are inevitable. One person to another and from one era to another.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد...

زخرت المكتبات الاسلامية بالكتب المفسرة للقرآن الكريم على مرّ العصور، وما زالت أرضاً خصبة للدراسين والمهتمين في هذا المجال، ومع كثرة التفاسير والدراسات للقرآن الكريم لكن يبقى هناك مجال واسع لا يمكن الإحاطة به إلا لمن أراد الله به خيراً وبالأخص العلماء فيبقى لهم الحظ الأوفر، من خلال دورهم الكبير في تناول النص القرآني درساً وتفسيراً، وكشفاً لمعانيه ودلالاته.

فكما كان للمفسرين حضٌ بالتفسير كذلك كان هناك مجالٌ رحبٌ للمفكرين لكي يدلوا بدلوهم في مجال فهم النص القرآني، فكان هناك كثير من الاتجاهات الدينية المعاصرة التي تحدث بها المفكر علي حرب، وأركون، ونصر حامد أبو زيد، وغيرهم كثير، فكانوا يقولون: بأنه لا يمكن للتعامل مع النص القرآني من منظور جدالي، بل الأفضل أن نقوم بتفكيكه لاستكشاف ما يحتويه من معاني ودلالات، و تداخلات، فالنص عبارة عن تفسيرات، و تأويلات، فخلاصة القول إن قوة النص تكمن في اكتشاف حقيقته، وبذلك سنجد ما يصرح به صاحب النص ليس

صحيحا ؛ لأن التفكيك يكشف عن حقيقة أخرى مختلفة عما صرّح به صاحبه سواء على مستوى الاراء أم المواقف، ولا أن نأخذ بما يقول به النص من أطروحات و قضايا، فليس النص بما يطرح ويبين، بل بما يتأسس عليه.

عليه تكونت الدراسة من مبحثين أولهما بعنوان (الاتجاهات الدينية المختلفة في فهم النص القرآني) وتضمن بيان معنى الإتجاه في اللغة والاصطلاح ومن ثم انتقل للحديث عن اتجاهات فهم النص القرآني أما المبحث الثاني فكان بعنوان (المنهج التفكيكي للنص القرآني عند المفكرين المعاصرين) الذي تحدث عن بيان معنى التفكيك في اللغة والاصطلاح كذلك التطرق لتوضيح مفهوم الاتجاه التفكيكي أو ما يسمى بالقراءة التفكيكية.

أما خاتمة البحث فقد أثمرت عن عدة فقرات كان في مقدمتها هي مشكلة التعامل مع النص، فالقرآن الكريم كتاب أنزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يتشكل وفق ظروف معينة محدودة، حتى إذا ما تغيرت تلك الظروف انتهت فعاليته بل وجب تفعيله وفق أغراض معينة لا تمت إلى الإسلام بصلة. لقد خاض الفكر الحداثي في قضايا شائكة أدت إلى حروب كلامية كانت تنتهي أحيانا بالتحريم أو التكفير، كذلك تبين أن هناك الكثير من الاتجاهات الدينية الفكرية المعاصرة التي يمكن الاعتماد عليها في فهم النص القرآني وقراءته ومنها الاتجاه الواقعي والتجريبي والمنتج وغيرها كثير.

أما المصادر المستخدمة في كتابة هذا البحث فكانت منوعة بين مصادر التفسير واللغة وعلوم القرآن والمصادر الحديثة وغيرها.

المبحث الأول: الاتجاهات الدينية المختلفة في فهم النص القرآني:

يُبين هذا المبحث مفهوم الاتجاه في اللغة والاصطلاح من ثم بعد ذلك ينتقل الحديث عن أهم الاتجاهات الدينية المختلفة لفهم النص القرآني والآيات القرآنية الكريمة:

أولاً: تعريف الاتجاه في اللغة والاصطلاح:

يورد الباحث لفظة الاتجاه في اللغة والاصطلاح وذلك بطرح أراء علماء اللغة والباحثين في هذا المجال لأجل الوصول الى المعنى الدقيق لهذه اللفظة:

الاتجاه لغةً : هو من ((الوجه– بالضم والكسر– الجانب والناحية))[1]((و الوجه : النوع والقسم، ومنها ما يقال الكلام على أربعة أوجه، وكذلك قول وجوه القرآن معانيه، ويطلق الوجه على الذات... وعلى القصد))[2] وكما في قول الله عز وجل : ((**أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ**))[3] وقيل هو من الوجهة أي: ((القبلة والموضع الذي نتوجه إليه ونقصده، ووجه الكلام السبيل الذي نقصده))[4].

الاتجاه اصطلاحاً: المقصود من الاتجاه في المعنى الاصطلاحي: ((هو تأثير الاعتقادات الدينية الكلامية، الاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير، والتي تتكون على اساس عقائد واحتياجات وذوق وتخصص المفسر))[5]. ويتحدد الاتجاه في الأساس بمجموعة من الأفكار و الآراء والنظريات والمباحث التي تشتهر بعمل فكري – كالتفسير مثلاً – بصورة تكون واضحة أكثر من غيرها، غالبة على ما سواها، وتحكمها فكرة كلية أو إطار نظري، فتعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير، ولونت تفسيره بلونها[6]

أما يخص الاتجاه التفسيري فعرّفه الرومي بأنه : الهدف الذي يتجه إليه المفسرون بتفاسيرهم، ويجعلونه أمامهم وهم يكتبون مؤلفاتهم[7].

وقيل: ((هو أفكار المفسِّر، ومذهبه الذي يسير عليه، ونظرته، ووجهته التي يولي وجهه إليها عند تفسيره لكتاب الله تعالى؛ من تجديدٍ أو تقليدٍ؛ أو باعتماده على المنقول أو المعقول أو الجمع بينهما، في إطارٍ محدد ينعكس فيه بصدقٍ مدى ورع المفسِّر، وتحرّيه للصواب، ودقّته في النقل والفهم، ويكشف عن مصادر ثقافته، وملامح شخصيّته))[8].

هذا تعريف الاتجاه بصورة عامة أما ما يخص الاتّجاهات التفسيريّة فهي : الميزة والخصيصة التي تميّز تفاسير القرآن الكريم بعضها عن بعضها الآخر، تِبْعاً لما يحمله المفسِّر من نَزَعاتٍ وميولٍ مسبَقةٍ تؤثر في تفسيره، وتوجّهُه اتّجاهاً معيَّناً[9]. وقيل هي: ((المباحث التي يُعنى بها المفسِّر في تفسيره، مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات))[10].

عليه تبيّن أن مفهوم الاتجاه بصورة عامة هو عبارة عن الآراء والنظريات أما الاتجاه التفسيري فيمثل الهدف الذي يستهدفه المفسر عند التفسير فهو مخصص بالتفسير حصراً وفي الوقت ذاته لا ننسى بأن هناك علاقة وثيقة ومترابطة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ولا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر

ثانياً: اتجاهات فهم النص القرآني

ظهرت اتجاهات متعددة تدعو للإفادة من الواقع وتوظيفه في فهم النص القرآني وتفسيره. وعلى الرغم من تعدد هذه الاتجاهات فإن بعضها لا يشترط أن يتقاطع مع بعضها الآخر، وأن الحدود بينها يمكن أن تكون متاحة، على الأقل فيما دعا إليه المفكرون المسلمون، فقد تجد للمفسر الواحد أكثر من اتجاه في توظيفه للنص الديني وفهمه وما يعني الباحث ليس كثرة التلون التي يتلون بها المفكر الحديث – قد يكون مفسراً أو لا يكون – بقدر ما تهمه طبيعة الاتجاهات وتمايزها. وعليه سيكون الحديث على أبرز الاتجاهات التي يمكن إجمالها بالآتي:[11]

1- الاتجاه الأثري لفهم النص القرآني:

لقد اعتمد المسلمون الأوائل في تفسير القرآن الكريم وتحديد ماهيته على ما أُثر عن الرسول (ص) وأصحابه، ثم جاءت فترة التدوين العلمي محتفلة بعلوم القرآن فتحروا الضبط والتدقيق و الموضوعية لإنشاء فروع علمية تهتم بالقرآن الكريم كالتفسير والفقه وغيرهما فازدهرت الحركة العلمية بفضل العلماء والفلاسفة ونجحوا في وضع أصول وقواعد للغة وتفسيرها وتوضيحها، و قد وضعوا شروطا للتفسير وللتأويل فربطوا مفهوم النص بالدلالة اللغوية، وقسموا الكلام أقساما حسب درجة الوضوح أو الخفاء، وبرغم ذلك فقد ظهرت في التاريخ الإسلامي مجموعة من الكتّاب والمفسرين الذين عكفوا على توضيح معاني القرآن الكريم وتفسير معانيه، و بمقتضى التطور الذي حدث في المجال العلمي، تطور مفهوم التأويل والتفسير[12].

2- الاتجاه الواقعي لفهم النص القرآني:

إن فحوى هذا الاتجاه يدور حول موضوع محدد هو بيان أن الدين الإسلامي جاء بحقائق كاملة، لكنها تحتاج إلى فهم أعمق وأوسع ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق التعرف على مضمون الواقع والعقل، وأن أبرز من مثل هذا

الاتجاه المفكر مرتضى مطهري.[13] فهو يرى وبحسب هذا الاتجاه أن يكون العلم مفتاحاً للوحي، فما يأتي عن طريق الوحي وإن كان بسيطاً وذو فائدة إلا أنه يعد في الوقت نفسه خلاصة للحقائق التي لا يمكن معرفتها إلا بالعلم، لذا عدّت الأحكام و التعاليم الإسلامية، سواء ما كان منها يتعلق بالحقوق الاجتماعية أو العلاقات بين الناس او ما كان يتعلق بأمور ثانية، كلها مبنية على مجموعة من الحقائق الموضوعية فلو أراد الباحث أن يتعرف على هذه الحقائق لتم تطبيق موازينها العلمية و أصولها، التي أصبحت أكثرها شهرة في العالم، لكن فهم الأحكام والتعاليم الإسلامية التي جاءت عن طريق الوحي تكون أعمق وأفضل[14].

3- الاتجاه التجريبي لفهم النص القرآني:

يُعدّ الاتجاه التجريبي عاماً للقرآن الكريم إذ يبتدأ استهدافه لتأمل الطبيعة، وهذا الأمر معكوس لدى اتباع القرآن الكريم وذلك بأن يشعروا بتقدير الواقع، معتبرين بأن القرآن الكريم قد أيقظ الروح التجريبية في عصر كان رافضاً لعالم المرئيات لأن البحث فيه لا يثمر الكثير عما وراء الطبيعة[15].

فنبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو حلقة الوصل بين العالم القديم والعالم الحديث مؤكداً بأن مولد الإسلام هو بمثابة ولادة للعقل الاستدلالي، لذا فإن إبطال ونكران الإسلام للرهبنة ووراثة الملك ومناشدته للعقل والتجربة على الدوام، واصراره على أن النظر للكون والتوقف على أخبار الاقوام السابقة هو مصدر من مصادر المعرفة الإنسانية؛ لذا يمثل كل ذلك صوراً جديدة لفكرة انتهاء النبوة، فمثلاً نرى أن الأنفس والآفاق هي من مصادر المعرفة بحسب ما موجود في القرآن الكريم[16].

فهذا الاتجاه قد جعل من الواقع التجريبي أصلاً للمعرفة التي دعا إليها الإسلام بقوة، وأول تطبيق لذلك هو جعل النصوص المتخصصة بالتشريع تلائم ظروف شبه الجزيرة العربية ومن ثم ليس شرطا أن تكون أكثرها ملائمة للحياة الجديدة[17]، فإن ما يوضع لها من الأحكام اقراراً لها وتعديلاً فيها فهو باق ما دامت باقية، فإذا ما ذهب ذهبت أحكامها معه. ولا يوجد هناك ضرر في الإسلام إذا ما ذهبت، وذلك كمسائل تعدد الزوجات، و العبيد، ونحوها[18].

4- الواقع منتجا للنص القرآني:

يكمن هذا الاتجاه في بيان جوهر النص القرآني وحقيقته إذ لا يتجاوز كونه منتجاً ثقافياً؛ كونه لغة يحال عليها أن تكون مختلفة للواقع والثقافة، وقد تكوّن في وقت أكثر من عشرين عاماً. ومع ذلك فإن هذا المهتم في هذا المجال لا ينكر بأن النص القرآني من مصدر إلهي، ويرى أن هذه الألوهية لا تنفي محتواه الواقعي، ومن ثم لا تنفي انتماءه إلى ثقافة البشر. لذا فالنص في هذه الحالة يعيد بناء معطياتهما في ترتيب جديد. الأمر الذي يعني وجود علاقة جدلية بين النص والثقافة أو الواقع وهو الاتجاه الذي تبناه الدكتور نصر حامد أبو زيد كما في كتابه (مفهوم النص)[19]. إذ عّد اختياره لمنهج التحليل اللغوي في فهم النص هو الوحيد الذي يلائم مادة البحث وموضوعه، فهو يرى أن النص إذا كان يحمل الثقافة التي ظهر فيها دون أن يكون هناك فارقاً عن الواقع؛ فلا بد حينئذ من أن يكون التحليل اللغوي هو التحليل الوحيد الذي يلبي – فعلاً – حاجة الفهم الخاصة بالنص القرآني، لذا يصبح المنهج المذكور بمثابة الكاشف عن واقع الثقافة التي ظهر فيها، وفي الوقت نفسه يكون هذا الواقع

عاملاً مساعداً على فهم النص. لذا لا بد من البدء بدراسة ذلك الواقع لأنه لا يمكن فهم النص من غير البدء بدراسة طبيعته القائمة بتشكيل النص كالأبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، و كذلك يجب دراسة عوامل الالتقاء بين النص والمخاطبين به[20].

إضافة على ما تقدم ظهرت العديد من الاتجاهات الفكرية الحديثة التي تحدث بها مفكرون معاصرون التي أسهمت في فهم النص القرآني منها ما يلي:

- دراسة أركون لبنية العقل العربي التي عالجها المفكر علي حرب من منطلق عقلي صرف، بعيدا عن الجانب الدوغمائي في فهم النص القرآني، كما أعترف بأنه يستفيد من الاطلاع على نتاجات الغرب من خلال الدراسات التي قدمها أركون، فهو يشجع في مباحث دراسته على أمور منها الدلالة والرمز والمعنى والمقدس والأسطورة والعقلية الدوغمائية والمنظومة المعرفية والمفكر فيه و اللامفكر فيه أو ماكان استحالة التفكير فيه وغيرها كثير من المفاهيم التي ركز عليها الغرب في مختلف ميادين المعرفة لديهم[21].

وقد ذكر علي حرب أنّ من أهم النقاط التي كان الاتفاق عليها هي تفكيك النصوص و تحليل التراث الإسلامي، غير ملتفتاً ولا مهتماً بالعقائد و المحظورات الدوغمائية المتسلطة، كذلك يوجه انتقاده للذين يحرصون على الفكر التحرري الذي يبحث عن الحقيقة، و يجد أيضا الاختلاف في الرأي هو الطريق إلى التوحيد وليس للانحراف، و هذه هي محنة العقل العربي، كذلك يجد أن الحل لأزمة تفكيك الأمة يكمن في تشريح الثقافة ونقد العقل، و تفكيك الخطاب لإيجاد الوحدة[22].

- أن النصّوص القرآنية تحتاج إلى التفسير والبيان والتوضيح والكشف منذ بداية دعوة القرآن الكريم إلى تدبر الآيات القرآنية الكريمة وذلك بإرجاع المتشابه منها الى المحكم، و العام الى الخاص، على أن تكون قراءة مختلفة عن النصّ، ايضاً يرى النصّ أن هناك حيزاً من الكلام أو مقال متعدد المعنى باختلاف السياقات، وفي الوقت ذاته يجب تقبل قراءاته المتعددة والمختلفة، كذلك أن النصّ القرآني من سماته الاتساع، والمعجز فيه أنّه يقبل المتعارضات (الثنائيات الأصولية) ويجمع المختلفات، ويجد أيضا النصّ الفلسفي مفتوحا على المغايرة والاختلاف و أنّه نسيج من التراكمات[23].
- أن المفسرين القدماء قد تعاملوا مع خطاب الوحي كأنه نصٌ تاريخيً ولا علاقة له بالمجال العلمي والفهم الدقيق، فهذا النص يلغي بأحكامه القراءات الجادّة للسلف، ويجرد العقل العربي من عقلانيته وكأنه لا توجد تفاسير قيّمة كتفسير الرازي وغيره الكثير من التفاسير،[24] فهو بهذا يريد ان يفتح الباب للمناقشة ويعيد الدرس من جديد الى القراءة الجادة التي تكلل بالبرهان فهذا ما بيّنه أركون لذا نرى أن صراعه كان مبنياً في الأصل على تحريره للتراث من الانغلاق، و فتح المجال إلى قصدية القراءة لكي يحرر العقل من رتابة التقليد، و إن كان العقل الإنساني المعاصر هو امتداد عن العقل الأول[25].

من خلال ما تقدم تبين أن هناك اتجاهات دينية فكرية حديثة اعتمدها بعض العلماء والمفكرين والمهتمين بمجال النص القرآني بالإضافة الى أن هناك اتجاهات حديثة ركز عليها المفكرون المعاصرون كأركون وعلي حرب وغيرهم.

المبحث الثاني : الاتجاه التفكيكي للنص القرآني عند المفكرين المعاصرين

أولاً : مفهوم التفكيك في اللغة والاصطلاح :

1. التفكيك لغةً :

التفكيك من الفعل فكّ: مثل قولنا فككت الشيء فانفك. وكتاب مختوم تفك خاتمه، كذلك فك الحنكين أي تفصل بينهما. والفكان: ملتقى الشدقين من الجانبين[26] .وفككت كُلُّ مُشْتَبِكَيْنِ فَصَلْتَهُمَا فَقَدْ فَكَكْتَهما[27] والتَّفْكِيكُ :هو الفَصْلُ بَين المُشْتَبِكَيْن[28].

2. **مفهوم التفكيك في الإصطلاح :**

إنّ مصطلح (التفكيك) الذي ظهر لأول مرة في كتابات (جاك دريدا *) ثم استعاره واستخدمه (علي حرب *) هو مصطلح آخر في التفكيك، إذ شاع تداوله من قبل بعض المفكرين في محاولة للإفادة من هذا المصطلح في توظيف أدواته في الأدب والتراث[29].

ومما قيل في معنى هذا المصطلح:

أ.التفكيك عند جاك دريدا:(إن التفكيك ليس تحليلًا–analyse– فلا يعني الرجوع الى أصل غير قابل لأي حل، ولا نقدًا – critique – بالمعنى العام، وهو ليس منهجًا ولا يمكن تحويله إلى منهج،ولا يُمكن اختزاله في أدوات منهجية أو مجموعة من القواعد والإجراءات القابلة للنّقل، وهو ليس حتى فعلًا أو عملية)[30]، وهذه الصعوبة في تحديد مفردة(التفكيك) تنبع من كون جميع المحمولات وجميع الدلالات المعجمية والنحوية، التي تمنح لنفسها تحديد هذه المفردة خاضعة هي الأخرى للتفكيك وقابلة له، وهذه المفردة لا تتمتع بقيمتها إلاّ في سياقٍ معين تحل فيه كإدراجها فيما يسمى ب(السياق) [31]. والتفكيك الذي قام به دريدا هو استبعاد الكلام واكتشاف الطاقة الكامنة(الكتابة)،إذ كان التفكيك موجه بالدرجة الأولى نحو التراث الغربي،خاصة الفكر البنيوي[32].

ب. التفكيك عند علي حرب : يعتقد ـ كما يعتقد غيره من المفكرين ـ (بأنّ الفكر العربي الراهن يمر بمأزق حاد، وهذا المأزق هو ما دعاه الى إعادة التعريف بالأشياء الأمر الذي يتطلب معرفة الإنسان، ومن ثم نقد هذا الإنسان كونه مركز الأشياء.فالتفكيك الذي يدافع عنه علي حرب هو تفكيك من أجل إيجاد منظار قادر على التمييز بين الخير والشر، والمشروع واللامشروع، والسوي والشاذ)[33]، ولذا يرى علي حرب بأنّ النصوص أصبحت منذُ زمن، تُعامل كوقائع خطابيّة لها منطقها وقوانينها، أو كحدث فكري له تأثيره، بصرف النّظر عن مراد المؤلّف.

ولذا لم يَعد النّص مجرد ناطق باسم المؤلّف أو مجرّد مرآة تعكس الواقع، بل أصبح هو نفسه واقعة تخضع للدّرس والتّحليل من جهة منطوقه ومن جهة بُنيته وآلية عمله، ولذا أصبح النّص واقعًا خطابيًا، بل وحقلًا لإنتاج الأفكار والمعارف، على نحوٍ تتغير مفاهيمنا وقراءاتنا للفكر وللغة وللمعرفة والحقيقة[34]. ولذا عدّ علي حرب التفكيك هو (قراءة جديدة للأشياء، يحاول من خلالها إدراك الواقع وفهم الظاهرة من أجل فكرٍ أشد إصابة، ورؤية أكثر رحابة، ومعنى أكثر اتساعًا، وهوية أقل تعقيدًا وأكثر اختلافًا، إنّها قراءة تلتفت الى ما يستبعده الخطاب وينفيه النّص ويحجبه القول، إنّها قراءة في الممكن والضد واللامعقول واللامتوقع وحتى الممتنع، عندها سينظر

الى المعاني بوصفها تشكيلات خطابية مختلفة، وللعقائد بوصفها أشكالًا للحقيقة متقابلة، والى الثقافات بوصفها أنماطًا لوجود، وبذلك يكون التفكيك نأيا بالمعنى عن الموت ليصير قراءة في مأزقه ومحنته)[35].

ثانياً: القراءة التفكيكية (الاتجاه التفكيكي)

يلاحظ أن القراءة التفكيكية موجودة في نصوص المفكرين وفي مقدمتهم المفكر علي حرب لاعتبارات تجاوزية فرضتها طبيعة التحولات في العالم عبر قطيعة معرفية جسدتها الحداثة البعدية، إذ لم تعد "تجدي الآن مقاربة العالم والتعامل معه بمفاهيم الحداثة وأدواتها، من باب أولى لا تجدي محاولات فهم العالم وتسييره بقيم العالم القديم ووسائله[36]، لذا فإن استخدام وسائل جديدة أصبح يشكل ملمحا استثنائياً طبعت به الكتابات النقدية المعاصرة[37] .

عليه نرى أن بعض المفكرين قد استثمروا وعيا معرفيا بالمناهج الغربية والآليات المعاصرة، في إثبات بأن الممارسة النقدية الفعالة تبدأ بالنص وتنتهي به، وله. وإذ ينمو هذا الإيمان الراسخ في ظل الحظوة التي يحتلها النص في محيطه العربي والإسلامي بدءا من النص القرآني بوصفه معاصراً، لذا يعد أولوية من أولويات النقاد التفكيكيين في نقدهم للنصوص من خلال استخدامهم للمنهجيات والأدوات الحديثة المعاصرة[38].

ويعزو بعض المفكرين أن الاهتمام البالغ بالنص اليوم إلى التحولات العميقة التي نقلت المصطلح من الفعل الأداتي المنتج للمعرفة إلى ميدان أوسع قائم بذاته، يخوض فيه مصطلح النص مجالا معرفياً خاصا به، فالنص لم يعد مجرد أداة للمعرفة، بل أصبح ميداناً معرفيا مستقلا، أي هو مجال لإنتاج المعرفة تجعلنا نعيد النظر فيما نعرفه عن النص والمعرفة في آن واحد[39]، ويبدو أن إعادة النظر فيما نعلمه عن النص تسعى لتجاوز حدود النص في الثقافة العربية ببعدها الديني أولا، وبأبعادها المتنوعة التي تحكم توجهات النقاد الذين هم بصدد نقد أعمالهم في المرتبة الثانية، بغية ازاحة الدلالة القديمة للنص، واستبدالها بمصطلح النص ما بعد الحداثة[40].

لذا يمكن أن نقول إن النص بشكله المنهجي المعاصر من شأنه أن يفضي لبلورة مفاهيم جديدة، تعيد تنظيم علاقات الإنسان بوجوده ومقولاته عن الحقيقة والمعنى والمؤلف والقارئ[41]، ولأن هذا التنظيم قد وجد صداه في استراتيجية التفكيك وعبر مقولات لا وجود للحقيقة، وإرجاء المعنى،وموت المؤلف، وحرية القارئ المطلقة في قراءة النصوص وتأويلها، فإن النص سيخلق كينونته التي "تقضي بالنظر إليه من دون إحالته إلى مؤلفه ولا إلى الواقع الخارجي، فيشكل النص واقعه الافتراضي الخاص بعيدا عن جميع الإحالات الخارجية فوحده النص يحيلنا لوجوده إذ يسقط المؤلف أو المبدع في غياهب النسيان[42].

مما تقدم تبينً كيفية قراءة النص وتأويله أما ما نراه في استراتيجية التفكيك عندما " تفصم الرابطة بين المؤلف والنص يكون مؤدى النصية أننا نقطع الصلة بأية فكرة تقول إن المعنى يقبل التحديد ؛ فالنص له حياة خاصة به، وينطوي على سلسلة لا نهاية لها من المعاني الممكنة التي لم تعد تخضع الآن لأي تحكم،أو ضبط سواء من جهة قرارات المؤلف وافعاله، أو من جهة قواعد وأعراف اللغة[43]، فقطع الصلة بين المؤلف والواقع والنص هو الذي سيجعل من الانفتاح الدلالي بلا قيود أو ضوابط، ومن الواقع الخارجي مجرد تهويمات وخيالات تحيط بها القراءة التقليدية نفسها وتحد بها من اتساع النص، وهو ما تعبر عنه مقولة عراب التفكيكية دريدا "لاوجود لخارج

النص"[44]، فيغدو الواقع الممكن هو النص نفسه، ولا وجود لممكنات أخرى خارجه، فيستطيع النص أن "يخلق واقعه ويمتلك وقائعيته[45].

فلو نأتي الى نظرة المفكر علي حرب نجده يؤسس لواقع النص من منظور تفكيكي في تعامله مع ثنائية خارج/ داخل، فهو يعتقد كما يؤمن دريدا ان الخارج " الممكن " لايستطيع أن يكون الا داخل كل نص[46]. وإذا كان النص التقليدي قد سعى لقول حقيقة ما، فإن النص ما بعد الحداثي لم تعد تعنيه الحقيقة فهو بتصور دريدا " كرقم بدون حقيقة، أو كنظام أرقام،لاتهيمن عليه قيمة الحقيقة "[47] إذ يقوم النص على التعددية من ناحية القراءة التفكيكية، فإن تعدده يجعله – قابلا للاختلاف والمغايرة– ذلك لأن الاختلاف أو المغايرة من مرتكزات التفكيك، ومن ثم فإن النص بهذا التوجه لا يمكنه كما يقول علي حرب أن يكون ((وحدة منسجمة تخلو من التعارض والتضاد، وإنما هو حيز وساحة للتباين، وحقل للتعارض والتجاذب))[48] إذ يمثل الاختلاف والمغايرة مميزات لأشياء مكانية متصلة بالفضاء والحيز ،بينما يكون الإرجاء مرتبطا بالزمان[49].

وهو مما يسمح لعلي حرب أن يعد النص " فضاء تأويلياً وحيزاً دلالياً، وإمكاناً للتفكير، واحتمالا قراءة ثانية " لتمارى النص في اتساعه كما يتجلى الفضاء على امتداده اللامحدود في دلالته المعجمية في اللغات الأوربية، وفي مستواه التجريدي أيضا[50].

كل ما ورد في هذه الدراسة هو من أجل بيان تطور وتحديث الاتجاهات المهتمة بفهم النص القرآني وقراءته ومنها والذي يعد من أحدثها هو الاتجاه التفكيكي الذي أشتهر به المفكر علي حرب أو ما يسمى القراءة التفكيكية التي تم تناولها في هذا المبحث بالشكل المفصل.

الخاتمة

بعد دراسة الاتجاهات الحديث في فهم النص القرآني وقراءته توصلت الباحثة الى عدة نتائج وثمرات كان من أهمها:

1- يمكن الاستدلال على قدسية القران الكريم وسماويته من خلال كثرة المناهج المفسرة لنصوصه، حيث لا يوجد كتاب بشري تم تفسيره على أساس دراسته من خلال منهج معين.

2- تبين ان المشكلة إذا هي مشكلة التعامل مع النص، فالقرآن الكريم كتاب أنزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يتشكل وفق ظروف معينة محدودة، حتى إذا ما تغيرت تلك الظروف انتهت فعاليته بل وجب تفعيله وفق أغراض معينة لا تمت إلى الإسلام بصلة كالفكر الحداثي الذي خاض في قضايا شائكة أدت إلى حروب كلامية كانت تنتهي أحيانا بالتحريم أو التكفير.

3- تبين أن هناك كثيراً من الاتجاهات الفكرية المعاصرة التي يمكن الاعتماد عليها في فهم النص القرآني وقراءته ومنها الاتجاه الواقعي والتجريبي والمنتج وغيرها الكثير.

4- تبين ان المنهج التفكيكي الذي اتبعه بعض المفكرين وفي مقدمتهم علي حرب قد اتخذ من التفكيك منهجاً لفهم النص أي انه يقوم بتفكيك العبارة لكي يصل الى المعنى الإلهي المراد منها.

الهوامش :

(1) الفيروز ابادي، القاموس المحيط: 4/ 397.

(2) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: 9/ 420.

(3) آل عمران: 20.

(4) ابن منظور، لسان العرب: 13/ 556.

(5) ينظر: محمد علي الرضائي الاصفهاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن:19.

(6) محمد ابراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن بمصر: 63.

(7) ينظر: فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 1/ 22.

(8) ينظر: محمد بكر إسماعيل، ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير: 29.

(9) ينظر: هدى جاسم محمد أبو طبرة، المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم:23.

(10) ينظر: جعفر السبحاني، المناهج التفسيريّة: 73.

(11) علي حرب، (الفكر والحدث حوارات ومحاور): 93.

(12) أمين(بكري الشيخ)، التعبير الفني في القرآن: 27.

(13) داود القيصري، مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، 2/434-435

(14) المصدر نفسه، 2/434-435

(15) أمين الخولي، دراسات إسلامية، 37.

(16) علي حرب، خطاب الهوية سيرة فكرية: 65.

(17) محمد حسين النائيني، تنبيه الامة وتنزيه الملة: 84.

(18) المصدر نفسه: 84.

(19) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: 34.24.

(20) علي حرب، الاستلاب والارتداد الإسلام بين غارودي وأبو زيد: 37.

(21) الواقدي، المغازي:1 / 45.

(22) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 3 / 46.

(23) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 1 / 93.

(24) محمد اقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام: 198.197.

(25)علي حرب، (الممنوع والممتنع) نقد الذات المفكرة.

(26) الفراهيدي، العين:283/5.

(27) ابن منظور، لسان العرب: 475/10

(28)الزبيدي، تاج العروس: 301/27.

*جاك دريدا: فيلسوف فرنسي معاصر، ولد في الجزائر عام 1930، وعاش فيها حتى أتمّ دراسته الثانوية عام1949، عمل أستاذًا في أمريكا، وقام مع آخرين بتأسيس المعهد الدولي للفلسفة في باريس. (ينظر: جاك دريدا، في علم الكتابة: 559)

*علي حرب: كاتب لبناني معاصر، يكتب في الفلسفة وفي ما يسمى (النقد التفكيكي) على وجه الخصوص، له عدة مؤلفات منها: التأويل والحقيقة، نقد النص، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك. (ينظر: ماجد بن حمد العلوي، استراتيجيات الحمل على غير الظاهر عند المحدثين –علي حرب انموذجًا–: 74).

(29) ينظر: محمد رضا حكيمي، المدرسة التفكيكية: 9.

(30)جاك دريدا، الكتابة والاختلاف: 60-61.

(31) المصدر نفسه: 62.

(32) ينظر: وفاء بن عمارة، التفكيكية في الفكر العربي المعاصر-علي حرب إنموذجا -: 8.

(33) https://www.ahewar.org مجلة الحوار المتمدن، حسين السلطاني، العدد 3942، نشرت بتأريخ 2012/12/15.

(34) ينظر: علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك: 20.

(35) مجلة الحوار المتمدن، حسين السلطاني.

(36) علي حرب، حديث النهايات (فتوحات العولمة ومأزق الهوية): 12.

(37) المصدر نفسه:12.

(38) علي حرب،نقد النص:.7

(39) المصدر نفسه:.7

(40) جون إليس،ضد التفكيك: 159.

(41) علي حرب،نقد النص: 8.

(42) علي حرب، حديث النهايات (فتوحات العولمة ومأزق الهوية): 14.

(43) جون إليس،ضد التفكيك: 15.

(44) علي حرب، نقد النص: 13.

(45) المصدر نفسه: 13.

(46) http://www.mominoun.com /arabic/ar-sa/articles/authors/101/posts/،التفكيك إلى النقد،العالي بن عبد السلام

(47) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: 213

(48) علي حرب، الفكر والحدث: 65.

(49) ينظر: عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف:632.

(50) علي حرب، نقد النص: 147.

المصادر والمراجع:

- خير ما نبتدأ به القرآن الكريم.

1. إبراهيم: عبد الله، المطابقة والاختلاف (بحث في نقد المركزيات الثقافية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 2004.
2. إسماعيل: محمد بكر، ابن جرير الطَّبَري ومنهجه في التفسير، دار المنار، القاهرة، ط1، 1411هـ- 1991م.
3. إقبال: محمد، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، لجنة التأليف والترجمة في القاهرة، ط 2، 1968م.
4. إليس: جون، ضد التفكيك، ترجمة حسام نايل، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2012.
5. بكري: أمين، التعبير الفني في القرآن' دار الشروق، ط1، بيروت،1980 .

6. البيضاوي: عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع بيروت، (بدون تاريخ).
7. الاصفهاني: الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، المكتبة المرتضوية، طهران، (بدون تاريخ).
8. الاصفهاني: محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب قاسم البيضاني، ايران– قم، مركز المصطفى العالمي، (دون تاريخ).
9. حرب: علي، الممنوع والممتنع – نقد الذات المفكرة –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، المغرب، بيروت، لبنان، 2000.
10. حرب: علي، الاستلاب والارتداد الإسلام بين غارودي وأبو زيد، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 1997.
11. حرب: علي، الفكر والحدث حوارات ومحاور، دار الكنوز الأدبية، 1997.
12. حرب: علي، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية – 2000.
13. حرب: علي، نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، المغرب، بيروت، لبنان، 2005.
14. حرب: علي، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، ط1، بيروت، 2005 م.
15. حرب: علي، خطاب الهوية سيرة فكرية، دار الكنوز الأدبية،1996.
16. حكيمي: محمد رضا، المدرسة التفكيكية، ترجمة: عبد الحسين سلمان –خليل العصامي، مراجعة وتقديم: عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1421هـ.
17. الخولي: أمين، دراسات إسلامية. القاهرة، دار الكتب المصرية، 1996.
18. دريدا: جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، ط2، المغرب، 2000.
19. دريدا: جاك، كتاب في علم الكتابة، ترجمة: كلاً من أنور مغيث و منى طلبة، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، 2008.
20. الرومي: فهد بن عبد الرحمن، اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط1، 1407هـ– 1986م .
21. الزبيدي: أبو الفضل، تاج العروس، المطبعة الخيرية، ط1، مصر، (دون تاريخ).
22. أبو زيد: نصر حامد، مفهوم النص، نشر المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م
23. السبحاني: جعفر، المناهج التفسيريّة في علوم القرآن، مؤسَّسة الإمام الصادق(ع)، ط2، قم، 1422هـ.
24. شريف: محمد ابراهيم، اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين، دار السلام للطباعة وانشر والتوزيع والترجمة، 2008م.
25. أبو طبرة: هدى جاسم محمد، المنهج الأَثَري في تفسير القرآن الكريم، حقيقته ومصادره وتطبيقاته، مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1414هـ– 1994م.

26. علوش: سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1985.
27. العلوي: ماجد بن حمد، استراتيجيات الحمل على غير الظاهر عند المحدثين –علي حرب انموذجًا، مكتبة الغبيراء، ط1، عمان، 1435 هـ.
28. الفراهيدي: الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، ايران، الطبعة الثانية، دار الهجرة، 1409 هـ.
29. القيصري: داود بن محمود، مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، مطبعة منشورات انوار الهدى، ط 1، 1416هـ.
30. ابن منظور: جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان– بيروت، 1956م.
31. الواقدي: محمد (1424هـ)، المغازي، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).

ثانياً: الرسائل

32. عمارة: وفاء، التفكيكية في الفكر العربي المعاصر–علي حرب إنموذجًا –، رسالة ماجستير.

ثالثاً: المجلات

33. السلطاني: حسين،https://www.ahewar.org مجلة الحوار المتمدن، العدد 3942، نشرت بتأريخ 2012/12/15.
34. النائيني: محمد حسين، تنبيه الامة وتنزيه الملة، تعريب: صالح الجعفري، مجلة الغدير، نُشرت ترجمة الكتاب، عدد 11.10، 1990م.

رابعاً: المواقع الالكترونية

35. عبد السلام: العالي، التفكيك إلى النقد،–http://www.mominoun.com /arabic/ar ، – sa/articles/authors/101/posts